■ الفصل الأول

الماهية

بلغت نصوص المدونة اثنتي عشرة قصيدة، وديوانين، أبدعها أحد عشر شاعرًا، تنوعت مشاربُهم ومناحيهم الفكرية، فقد أسَّس الشعراء بنياتهم الشعري وخطابهم للآخر أو عن الآخر الأمريكي على أُسس قومية أو وطنية أو إسلامية أو إنسانية أو يسارية، ولئن تساوت نسبُ العمودي في القصائد إلى الحرِّ ولكلٍّ سِتٌّ، فإن المدى الشعري للحر يفوق العمودى بحسبان الأبيات والأسطر بكثير جدًا، فعِدَّةُ أبيات العمودي لا تتجاوز 150 بيتًا في مقابل ما يزيد على الألف ومائتى سطرٍ شعريٍّ حر.

وحينما يُضاف إلى ذلك أن الديوانين نُظما كاملين إلا قصيدة للجيار وحيدة على النهج الحر، يتضح بجلاء أن القالب الشعري الحر هو المهيمن على نصوص المدونة، وأكبر الظن أن لحداثية الموضوع صلةً بحداثية الإطار.

وقد حرص جميع الشعراء على الإعلان عن كنه المرسل إليه، أو المخاطب من عتبات العنوان فأمريكا حاضرة في عنوانى الديوانين، والرئيس الأمريكي المعنىُّ بالقصائد حاضرٌ فيها كذلك، ويبدو بوش الابن هو الأكثر حظوة وحضورًا بالمدونة؛ إذ له وحده خمسُ قصائد كاملة.

واختص»روزفلت» بقصيدتي الغاياتي العموديتين، وانفرد أيزنهاور وترومان بواحدة لكلٍّ، وجميعُهم تأثرت قضايا الأمة في عهودهم سلبًا، وضاعت حقوقها، وتلك القسمةُ غير الضيزى لمصلحة بوش عادلةٌ، ومبررة، إذ إن اعتلاءه عرش أمريكا اقترن بالكشف عن وجهها الحقيقي الإمبريالى المهيمن، وعن نظام القطب

الأوحد، كما وافقت رئاسته حالة من الوعي الجمعي بين عموم العرب، ومبدعيها خاصة، يُضاف إلى ذلك ما توافر من جوٍّ الحريات التى انتُزِعت بكثير من الأنحاء، مع فضائيات أسهمت في النقل اللحظى الحيِّ المباشر لما كان العلمُ به لا يكون إلا بعد سنوات!!

ويشارك الشعراءُ المغمورون إعلاميًّا (حسين نجم) الشعراءَ الرواد (الشرقاوي وجويدة وعواد) وربما شارك هؤلاء وهؤلاء شعراءُ رساليون لا ينتمون إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كالدهشان وحسين على محمد ومحمد الجيار.

م	القصيدة / الديوان	الشاعر	الأبيات	حر/عمودى	الوزن	القافية
1	رسالة من شاب عربى	عبد المنعم عواد يوسف	129	حر	رجز	
2	من أب مصرى إلى الرئيس ترومان	عبد الرحمن الشرقاوى	389	حر	متقارب	
3	فى وداع بوش	فاروق جويدة	370	حر	كامل	
4	رسالة إلى بوش من طفلة مسلمة بالبوسنة	فاروق جويدة	200	حر	كامل	
5	رسالة إلى بوش 6 روزفلت	جابر قميحة على الغاياتى	77 33	عمودى عمودى	متدارك وافر	الميم والنون
7	إلى خطيب جولدهول	على الغاياتى	09	عمودى	بسيط	
8	هوامش على دفتر النكسة الأمريكي	حسين نجم	95	حر	كامل	
9	جلاد الخريف (إلى بوش الصغير)	حسين على محمد	45	حر	متدارك	
10	الاستعانة بأمريكا	عبد اللطيف النشار	07	عمودى	بسيط	

11	مشورة أمريكا	عبد اللطيف النشار	08	عمودى	بسيط	
12	رسالة قصيرة إلى بوش	وحيد الدهشان	17	عمودى	مجزوء كامل	
	الإجمالي		1379			
13	محاكمة أمريكا	محمد الجيار	20 نصًا			
14	فى وصف أمريكا	أحمد تيمور	1585			

وقد تنوعت مشارب شعراء المدونة ومناحيهم، وينتظم جميعَ شعرِ المدونة – وربما شعراءها على تحوُّلٍ ربما اقتضتْه طبيعةُ الموقف ومستجداتٌ طرأت – تياران رئيسان، هما: تيار الهمس الرقيق، وتيار المواجهة (العتاب العنيف).

obeikandl.com

أولًا: تيار الهمس الرقيق

ليس الهمس الرقيق هنا وصفًا قِيميًّا، لكنه توصيف إبداعى، فليس كلُّ شاعر قد عرض للرمز الأمريكي مرة في شعره هامسًا برقة، أصيلًا في هذا التيار، بحيث تُنزع عنه عباءةُ المقاومة والنضال، فقد يستوجب الموقفُ الإبداعي الهمسَ الرقيق في حينٍ، والردَّ العنيف في حينٍ آخر، فيستجيب هنا وهناك، وعليه فقد نرى شعرًا لشاعر واحد هنا وفى تيار العتاب العنيف، والثابت أنه ليس في شعراء مصر من ظلَّ على همسه الرقيق في خطابه الشعري للرمز الأمريكي، قد يقرأ الشاعر بذكاء المشهد السياسي العام، فيهدأ حينًا، ويعنفُ حينًا آخر، وربما يصمت في حين ثالث.

وأغلب شعراء هذا التيار من المناضلين الذين تميزوا عن غيرهم باستحضار الرمز الأمريكي تيمة تيمات الفن الشعري، يسهم في استكمال المشهد الإبداعى، ويتميز بإسقاطٍ دالٍّ يدل على وعى بالواقع وسمة نفسية تتمثَّل في الجرأة، هذا ما نجده عند فاروق جويدة في قصيدته (متى يفيق النائمون؟) وفيها يقول:

شهداؤنا في كلِّ شبرٍ/ في البلاد يزمجرون
جاءوا صفوفًا يسألون/ يا أيها الأحياءُ ماذا تفعلون؟
فى كل يوم كالقطيع على المذابح تُصلبون/ تتسرَّبون على جناح الليل
كالفئران سرًا للذئاب تُهرولون/ وأمام أمريكا
تُقام صلاتكُم فتسبِّحون/ وتطوف أعينُكم على الدولار
فوق ربوعه الخضراء يبكى الساجدون/ صورٌ على الشاشات

جرذانٌ تُصافح بعضَها/ والناسُ من ألم الفجيعة يضحكون" [1]

والشاعر هنا يستخدم الرمز الأمريكي تقنيةً فنية، ومن ثم فهو لا يمثل طرفًا رئيسًا من أطراف عملية التواصل على النحو الجاكسبونى، فالطرفان الرئيسان هنا هما الشاعر "الناطق الرسمى باسم الشهداء" والخانعون من العرب مهما علت مراتبُهم أو سفلت مواقعُهم. ومن هذا النمط قول وحيد الدهشان في قصيدته "السفهاء"

" فالدين عند الله دينٌ واحد

لا يرتضى المولى سواه من الأنام على المدى

والجاهليون الذين تمرَّدوا وتفرعنوا وتنمردوا

وتمرسكوا وتأمركوا وتقلبوا بين الأنام بلا هدى

خابتْ مساعيهم وخابَ من اقتدى

وتسرَّبت أعمارُهم من بين أيديهم سُدى/ وتشتَّتْ أصواتُهم

ما عاش في سمع الزمان لهم صدى/ وتضاءلوا.. وتضاءلوا

وتشكلوا في دفتر التاريخ

سطرًا أسودا" [2]

ومن ذلك ما جاء بقصيدة (جلاد الخريف: إلى بوش الصغير) وفيها يكشف الشاعر عن تسامح الذات وطهارتها.. فيقول:

" نحنُ الشعبُ المنتصرُ بحول الله

نضيءُ مدائنَ عشقٍ تصدحُ باسم الله

نحرسُ أرض الشيشان وأفغانستان/ وكشمير

وبيتَ المقدس من أرجاسِ الداء/ نستخرجُ من تلك الآبار المهجورة

فى أعماق الروح السمحة-/ ماءَ الطهر/ ولا نعبأ بالأرزاء" [3]

ومن ذلك تسامحُ "حسين نجم" مع الآخر عقب الثلاثاء الأسود، إذ يقول:

"وبرغم كلِّ جراحِنَا/ قلبى مَعَكْ" [4]

obeikandl.com

تيار المواجهة (العتاب العنيف)

يكشف أصحاب هذا التيار وبقوة عن الوجه الإمبريالى لأمريكا، دون مواربة أو مداهنة، وأنصار هذا التيار وشعراؤه هم المنحازون إلى أوطانهم وإلى قضايا أمتهم، يمتزج في شعرهم الجمال الإبداعي بالفكرة، ويتمازج فيها الوطني بالقومي بالإسلامي (وربما بالذاتي) في إبداع تتوارى عن قائمته أسماءُ!! لامعة نالت حظها موفورًا من الشهرة، وفى القلب من هذا التيار العاتي العاتب شعراءُ المدونة جميعهم.

وقد أثبت الأكاديمي الشاعر "بسيم عبد العظيم" في شعره قذفَ الصحفي العراقي "منتظر الزيدي" بوشَ بالحذاء في المؤتمر الصحفي في قصيدته (قبلة الوداع) فقال:

" يا من أصمَّ الأذنَ دون ندائي ... وأباح عِرضى واستباح دمائى
هل جئت تشمتُ بى وتعلنُ هازئًا ... عن قهر عِزى واغتيالِ إبائي
أنَّى اتجهتَ بأرضِ يعُرَب لن ترى ... إلا رجالًا يهتفون ورائي
وقد وكَّلُونى عنهمُ في قُبْلةٍ ... لوداعكم هى رميةٌ بحذائي (5)

وفى الشعر المصري الحديث يبدو الرمزان الأمريكي والصهيوني وجهين لعملة واحدة، تُمَثِّلُ العدوانَ، وقد بدت مواجهة الشعراء المصريين في حينٍ بحلبة الشعر عنيفةً، وكأنها بديل عن مواجهة رسمية لعدوانية الآخر على نحو ما نفهم من شعر الدهشان حين قال:

شارونُ بوشُ بعينِ كلِّ شعوبنا ... وجهان فوقهما علاماتُ الخطأ
إنا لنبصقُ عند ذكرِ كليهما ... ونقول هذا الفعل من ذاك الوَطَأْ (6)

وعلى هذا النحو اقترن الحديث عن أمريكا بإسرائيل، فهما على الحقيقة حليفان استراتيجيان، تُعانى من شراكتهما الأمةُ في كل آنٍ، تؤكد ذلك قضيةُ

فلسطين وإشكالاتها المستعصية، اللاجئون والأسرى.. وفى قصيدته "إن هان الأقصى يهون العمر" لفاروق جويدة في ديوانه (زمان القهر علمني) يقول عن هذا التحالف وأنه مسئول عن ضياعنا وإذلالنا:

" باعونا يومًا يا ولدى/ في كلِّ مزَاد/ اسأل أرشيفَ المأجورين
وفتِّشْ أوراقَ الجلاد/ اسألْ أمريكا يا ولدى/ واسألْ أذناب الموساد
إن ثار حريقٌ في الأعماق/ يثورُ الكهنةُ والأوغاد/ فتصير النار ظلال رماد"[7]

إن تبعية بعض الحكام العرب ورضوخ بعضهم لإملاءات الآخر، رغبًا ورهبًا.. قد أفزع الشعراء الرساليين، فنالوا من هذا النوع المنبطح، فإذا هم عند الشعراء مطايا خانعون، إذ يرفعون دعاءهم خوفًا ورجاء للإله، لمن يملك فصل الخطاب. يرسم "عبد الحميد فارس" [8] صورة لأصناف هؤلاء.. الحكام.. المحكومين بقبضة أمريكا.. فإذا هم عابدون للسيد اللوذع.. يتقربون، ويلحون.. ويؤدبون.. وبقدر ذلهم أمام الآخر يستذلون شعوبهم، وبقدر مكاسبهم الذاتية تخسر أوطانُهم وشعوبهم.. يقول:

ولـــيُّ الأمـــر أمـــريـكـا ... لـهـا دعـواتُـهـم تُـرفـعْ
تـــرى الـزعـمـاءَ طُـوفـانـا ... إذا هـمَّـتْ بـأن تجمع
فـهـذا جـــاء مـعـتـذرًا ... وذاك أتـــى لـــه يـشـفـع
وذا قـد جـاء مُـلـتـمسًـا ... مـبـاركـةً هـــيِ الأنـفـع
وذاك لـديـه قـربـانٌ ... يـقـرِّبـه وذا الأخـشـع
وآخـــرُ ضـــارعٌ يـدعـو ... لـعـلَّ الـسـيـد الـلـوْذع
رئـيـسُ الـدولـة العظمى ... لـــه يـحـمـى لـــه يـمـنـع
ويـــمـــددْ مـــن عـبـاءتـه ... وكـل (فـتـورة) تُـدفـع [9]

إن بعض الحكام يبدون عبادًا خاشعين في محراب أمريكا.. الغالبة! القاهرة!،

فهى كالإله لديهم، يشير إلى تطواف القوم بكعبة أمريكا وخشوع الحكام بحضرتها واعتكافهم بمجلسها، فيقول أحمد فتحي الدهشان:

إلهى كيف يأتى الشعرُ سهلا ... وكيف أقول شعرًا لا يخاف؟
وأمريكا إذا نادتْ لقومى ... تبارَوا حول كعبتها وطافوا
.. لها فيتو إذا ما فاتَ فينا ... يُفتِّتُنا، فوحدتُنا اختلافُ
لها كلُّ الحقوق ونحن لسنا ... سوى حقٍّ بجعبتها يُضاف
وحكام لنا مرضَى إذا ما ... تعاطوا خبز نعمتها تعافُوا
فوقفتهم بحضرتها خشوعٌ ... وجِلستهم بمجلسها اعتكاف (10)

إن الشاعر المصري يرى في مسلك بعض حكام المنطقة ما يشبه مسلك أهل مكة تجاه دعوة التوحيد، فالله هو من يطلبون إليه النجاة.. يدعونه مضطرين، أمنا العزى.. العزيزة!

فهي من يطلب إليها قضاء الحاجات! يقارن "السيد جلال" بين هؤلاء وأولئك فيقول عن مشركى مكة:

فما حنفوا كإبراهيم ... أو صاروا كأهل كتاب
يكون الله للنجوى ... لِعُزَّي تُرفع الأسباب
كما إنَّا لنا ربٌّ ... وأمريكا لفصل خطاب (11)

والأمل في تصحيح الأوضاع مرهونٌ عند الدهشان بقاة قادرين على التمرد والخروج عن الطاعة، والانسلاخ من فلك الرمز الأمريكي، على نحو ما يفعل شهداءُ الأقصى، أمثال الرنتيسي، وفى رثائه يقول:

سيظل صوتُك حاديًا لجهادنا ... وبقلبِ مَنْ قتلوك كالإعصار
وغدًا يجودُ لنا الزمانُ بقادةٍ ... لا يجمعون لفرقةٍ وقرار

ليسوا بقبضة أيِّ بوشٍ كالدُّمى يتحركون بمقتضى الأدوار

وغدا سيخرجُ من ظلامِ ربُوعنا وبإذن ربي ألفُ ألفِ نهار (12)

وقد يبلغ استخفاف الشاعر بالآخر الأمريكي حد السباب والإهانة الواضحة، على نحو ما فعل على الغاياتي، إذ يقول لروزفلت:

لعمرُكَ لستَ بالرجل الهُمام إذا عُدَّ الهمام من الكرام

كرامُ الناس أصدقُهم حديثًا وأبعدُ عن أكاذيب اللئام

فما لك لم تَقُمْ في النيل إلا لتُسمعنا أباطيل الكلام (13)

وقريب من ذلك قول عبد المنعم عواد يوسف في قصيدته "رسالة من شاب عربي.."

فى الغاب يا رئيس تمرحُ الذئاب

وفى الظلام تنبحُ الكلاب

وفى الرياض تعبقُ الورود والزهور

وتنشد الطيورُ/ ألحانها العذاب

والشرق يا رئيس كلُّه رياضْ/ وفتية- يا أيها الرحيم- تحرسُ الحياض" (14)

وداخل إطار تيار المواجهة، بدت عدة ملامح جامعةً بين شعراء التيار بالمدونة، وقد تمثلت تلك القواسم المشتركة بينهم فى:

1. الإمساك باللحظة التاريخية، ومواجهة الآخر بجرائمه وفظائعه وحقيقة قهره للشعوب.
2. وضوح البعد الإنساني تسامحًا ورغبة في التعايش وكذا الانشغال بالمستقبل متمثلًا في العناية بالطفولة.
3. حضور الدين.

أولًا: الإمساك باللحظة التاريخية ومواجهة الآخر بجرائمه

تميز شعر المدونة أنه في الغالب لم يواجهْ شاعرٌ من شعرائها رئيسًا أمريكيًا لم يعاصره، فاكتسب الخطاب شعريًا مصداقية، حظُّ صاحبها من تهويمات الشعراء يسير، خاصة حين يتأتى الإبداع مكلومًا لقضايا إنسانية عادلةٍ قومية وطنية باتت معلقةً، تعترض طريقَ فضِّ اشتباكاتها رغباتُ الآخر وقراراتٌ تدعمها عمالاتٌ وعمولات.

ومع إيمانى بأن الشعر يختلف عن التاريخ، وأن التأريخ بالشعر أمر ينبغي الحذر معه، بحيث لا يمكن أن يُنظر إلى الشعر الحديث بما هو مصدر وحيد للتأريخ لِلَّحظةِ، وما يجعلنا في غير ما حذرٍ صارفٍ عن هذا الشعر المؤرخ للحظة التاريخية، أننا (نقادًا ومتلقين ومصريين) شركاءُ مع الشعراء في المعاصرة، كما أن روح الشعر "لا تتألف في تدوين التاريخ من خيال يطوِّف في الفضاء ولكنها تتألف من خيال يقتفي أثر الحقيقة ويلتصق بها، وبالنظر إلى أن الحقيقة قد وقعت فعلًا، فإنها تجمع حولها سر الحياة والموت والزمن الذى لا يسبرُ غَوره، فعلمُ المؤرخ وبحثه يجدان الحقيقة، وخياله وفنه يوضحان مدلولها" (15)

ف "على الغاياتى" حينما طال شعرُه الرمز الأمريكي، عرف برمزين من رؤساء أمريكا الرواد هما "وشنجتون وجفرسون" فقال:

فقام "وَشِنْجِتُون" يقود منكم ... ليـوثًـا للنجاة والانـتـقـام
فـــأدرك مـا يـرجِّـيـه وأجلى ... أعـاديـكـم بجالية السطام
ووالاه "جِفَرْسُن" مستذلا ... بسطوة عزِّهِ صعب المرام (16)

وقد اقتضى الإمساكُ باللحظة تذكيرَ الآخر، وذلك بالتبيه على جرائمه في حق الإنسانية عامة، والعرب خاصة، والمصريين بشكل أكثر خصوصية، فجرائم الآخر بالشرق الآسيوى الأقصى من مآسي القرن المنصرم التى عاينها شعراءُ المدونة، إذ هالهم ما اقترفته يدُ الآخر، فهبوا ينصحونه.. على نحو ما عدَّدَ "الشرقاوى" بنودَ سجلٍّ دمويّ حاقدٍ أسودَ، نال عديدًا من الأمم.. يقول مخاطبًا "ترومان":

حكمتَ على الصين ألا تكون- فصارت هباءً كأن لم تكن!!
وأنت أبَدت بكوريا الحياةَ بقنبلة وزنُها ألف طن!!
وصرت "بيونان" فالكائُها/ وأرجعت للشمس يابانَها
ووليت "مدريد" ثيرانها
وخاتلتَ مصرَ وسودانها
وأنت أقمت (بروما) الأمورَ وأمسكت ميزانها فاطمأنْ
وفى ذوقك الرائع المنتقى مضيت توشِّي لمصر الكفنْ
وأشهدُ كَم روَّجَ الأنبياءُ هنا لاقتدارك في كل فنْ
بأمرك تضطرب الحادثاتُ وباسمك يمضى ركابُ المحن" (17)

وبالنص يبدو أنه لم تسلم قارةٌ من قارات العالم من بطش هذا الآخر وعدوانه، فسجله حافلٌ بجرائمه.. إنه حقًا ركاب المحن!

وجريمة الآخر "بهيروشيما ونجازاكي" هى بحقٍ الأبشعُ في تاريخ البشرية، وفى نص "جابر قميحة" سجلٌ عامرٌ يستنكر فيه الشاعرُ على الآخر سوءَ عمله أولًا بجريمته في اليابان فيقول:

هل تذكرُ نكبة هِرْشوما ... فجَّرتم فيها الذريَّة؟
وكذلك نكبة "نجزاكى" ... لم تُبقوا فيها ذُرية؟
لم تُبقوا أثرًا لحياةٍ ... بل رعبًا هز البشرية (18)

ثم يقفه أمام فظائعه بوطننا العربي في الأقصى وفى لبنان، فيقول:

تلعنُكم صبرا وشاتيلا ... ومذابحُ بيروت وقَانا
ولُعنتم في كلِّ كتاب ... إنجيلا كان وقرآنا..
وزعمتم من أجل سلام ... ووئامٍ جئتم لُبنانا
فجعلتم لبنانَ شقاء ... وغرستم فيه الأشجانا
وزعمتم فتنًا عمياء ... ناصرتم فيها الشيطانا

وقد كشف "جويدة" في شعره عن مأساة البوسنة، عن حجم الدمار الشامل الذى أوقعه الغربُ بها، وصمت الآخر المفضوح عن الجريمة، فقال على لسان طفلة البوسنة.

يا سيدى بوش العظيم/ أرجوك يا مولاىَ/ أن تحمى بكارة طفلةٍ
مِنْ رِجْسِ أشباهِ الرجال/ الآن تأكلنا ذئابُ الغدر
تعوى في بيوت الله/ أشباحُ الضلال/ بيديْكَ يا مولاىَ
أن تحمى عيونَ صغيرةٍ/ مَنْ قال يا مولاى/ إن دماء أطفال يتامى
فى شريعتكم حلالْ؟" (19)

أما غزو العراق بكذبة الأسلحة الكيماوية ففضيحة الآخر الكبرى في الربع

الأخير من القرن بامتياز، وقد تواتر على التنديد بها أكثرُ من شاعر، يقول عنها فاروق جويدة مستنكرًا:

ماذا تركتَ الآن في بغداد من/ ذكرى/ على وجه الجداول

غيرَ دمع كلما اختنقت يسيل/ صمتَ الشواطئ.. وحشة المدن/ الحزينة/

بؤسَ أطفالٍ صغارْ/ أمهات في الثرى الدامى/ صراخ أو عويل

طفلٌ يفتِّشُ في ظلام الليل/ عن بيتٍ تَوَارى/ يسأل الأطلال في فزعٍ/

ولا يجد الدليل" (20)

ويقول عنها "حسين على محمد" متهكمًا ببوش الصغير الرمز الذى تولى كِبر الحرب الكونية على العراق، وفاضحًا عمالات البعض وخضوع الأكثرية:

أنعى لكم بغداد

وأنتمو يا أيها الأوغادُ تأكلون تشربون تضحكون

وتسمعون صوتها الجريح كل لحظة فترسمون

فوق وجههكم ملامح السهاد

لكنكم في كل ليلة- في العهر- تسهرون

من أجل "بوش" الصغير إن عطس" (21)

ويعرض محمد الجيار في رائعته "محاكمة أمريكا" لجرائمها بأسلوب شعري أخاذ فيقول كاشفًا عن منحى يساري فكري واضح، حين عُنى كثيرًا بمآسي أمريكا مع البلدان الاشتراكية، وذلك في قالب حواري عبر مشهدٍ مسرحي جرى بين طيار أمريكي وأشباح ضحاياه:

" الطيار (صارخًا): موتى؟ موتى؟ موتى؟

: من أى فضاءٍ جئتم؟

شبح من هوروشيما

شبح من أركاديا

شبح من أحداق الموت بكوبا

شبح من رعشات الأم بكوريا

شبح من بين كهوف النار بفيتنام

شبح من أمريكا اللاتينية" (22)

ثم هو يكشف كاشتراكي يكفر بالرأسمالية عن أطماع الآخر الأمريكي في المقدَّرات الاقتصادية للشعوب، وبخاصة البترول، فيقول:

" لكنَّ لأمريكا شغفًا بدم الأحرارْ/ تصنع منه زيوتَ الآله

يلمع في دفق البترول" (23)

ولقد كان دعم الآخر للصهيونية ورعايته الدائمة لها أحد أهم ملهبات الشعراء، ففضحوا هذا التحيز الواضح. يقول الجيار في صورة شعرية تتسم بالتكثيف اللغوي مع الوضوح الدلالي وفى مفارقة لا يؤتاها إلا المبدعون الرساليون:

كان الحفلُ الأول في ميلادك يا أمريكا

حيث شربتِ النخبَ الظافر في جمجمة الطفل/ وعظام الموتى عكازُك

لكنَّ الحقدَ بنار الحقد يموت

والشجر الناقم للحطاب هو.. التابوت

يا حفار القرن العشرين.. يا بائع أسنان الموتى لعجوز من صهيون (24)

وهو يكشف في موضع آخر عن حقيقة الأمر المتمثل في خضوع الآخر لمطامع

obeikandl.com

الصهيونية فيقول في مشهد مسرحي آخر:

الأشباح: كل أفاعى الصهيونية

الطيار: كانت تقتل من يتمرَّدُ من رفقاتى

قالوا نحن يهود الأرض سنغزو هذا العالم/

بفلسطين سنزحف دورًا ينهش جسد الدنيا..

الأشباح: أنتم أسرى الصهيونية [25]

أما الحرية التى يتشدق بها الآخر، فلم يرها تيمور من فضائل الآخر، إذ يعرِّض بتمثال الحرية بنيويورك.. فيقول:

"خاصمتُ هذه المدينة التى/ تعتقل الإنسان

فى مكعَّبٍ من القِرميد: فوق جانبىْ كلِّ جزيرةٍ/ مُعراةٍ/ مسمَّاة بمانهاتن

وتمنح الحريةَ التمثالْ/ مُطلقا سنا شعلتها بكفِّهِ اليمينْ [26]

obeikandl.com

ثانيًا: البعد الإنساني والانشغال بالطفولة

حظى البعدُ الإنساني في شعر المدونة في مقابل عدوانية الآخر وعنصريته بحضور واضح فشعراء المدونة يعلون من شأن الجانب الإنساني، ويكرهون التمييز، ويقدسون حق الآخر في الحياة.. يقول "جويدة":

يا سيدى بوش العظيم/ في أرضنا حلمٌ وفى أوطاننا/ شعبٌ يغنى الحب
ينعم بالخيال/ لا فرق في أوطاننا/ بين الصليب أو الهلال/
فالدين دينُ الله تحملُهُ جوانحُنا/ بكلِّ الحبِّ فينا والجلالْ/ عشنا مع الأيام أحبابا
نداوى الجرحَ/ نقتسم الرغيفَ المرَّ/ نسكرُ بالجمالْ" (27)

وقد فضح جويدة عدم إنسانية الآخر، وإدمانه التمييز بين بني الإنسان خاصة بحسبان الدين، فهو المفرق الداعم للتمييز، بخلاف الشعراء، يقول:

الوافدون أمام بيتك/ يرفعون رؤوسهم/ وتطلُّ أيديهم من الأكفان
مازلت تسأل عن ديانتهم/ وأين الشيخُ.. والقديس.. والرهبان؟
هذى أياديهم تصافح بعضَها/ وتعود ترفع راية العصيان/
يتظاهر العربيُّ.. والغربي/ والقبطى والبوذي/ ضد مجازر الشيطان (28)

وقد دعا "عواد" إلى التعايش والسلمية حين خاطب أيزنهاور.. فقال:

فباسم والدى الذى يودُّ أن يعيش كى يرى أطفاله رجالا
وباسم أمىَ التى تود أن تعيش كى ترى لابنها أطفالا
من أجل أن نعيش جنب بعضْ
من أجل أن يظل في القلوب نبضْ

وللطفولة رامزةً للمستقبل والامتداد والإنسانية والبراءة حضورٌ بالمدونة، بدا معه العدوانُ عليها عدوانًا لا إنسانيًا يتسم مقترفُهُ بالوحشية وتهديد الجنس

البشري، وذكرُ الشعراء الأطفال لم يكن بحالٍ استرحامًا أو استعطافًا، وإنما كان فضحًا لممارسات لم يعد يجدي معها الحديثُ عن حقوق الإنسان.. ونصُ جويدة عن الطفلة البوسنية وثيقةٌ تاريخية فاضحة للآخر، يقول على لسانها:

يا سيدى بوش العظيم/ أرجوك يا مولاى/ أن تحمى بكارة طفلة
من رجس أشباه الرجال/ الآن تأكلنا ذئاب الغدر
تعوى في بيوت الله/ أشباح الضلال/ بيديك يا مولاى
أن تحمى عيون صغيرة/ من قال يامولاى/ إن دماء أطفال يتامى/ في شريعتكم حلال

وحينما يمتنع عن دفع الأذى من يملك ذلك، فإنه متجرد من إنسانية مُدَّعاة، وحقوق الإنسان لا تعدو أن تكون مَدعاة.

إن الآخر لم يتحرك لمآسي الأطفال في غزة، ولذا يتهكم جويدة به على نحو رمزي لا يستر من سوءة الجاني شيئًا، بقدر ما يعريه، يقول:

أطفالُ غزة يرسمون على/ ثراها ألفَ وجهٍ للرحيل/ وألف وجه للألم
الموتُ حاصرهم فقاموا في القبور/ وعانقوا أشلاءَهم/ لكنَّ صوتَ الحق فيهم لم ينمْ
يحكون عن ذئبٍ حقير/ أطلق الفئران يومًا في المدينة/ ثم أسكره الدمار
مضى سعيدًا.. وابتسم

ويفضح قميحة خلل الآخر في ترتيب أولياته التى تتسم بالأنانية والعدوانية، حين لا يرعى إلا مصلحة الذات، وليحيا الباقون موتى، أو ليموتوا أحياء.. يقول عاتبًا على سياسات الآخر المالية:

يـا لـيـت مـلايـيـنـك كانت ... لـشـعـوبٍ يقتُلها الـجُـوعْ
مـا فـيـهـا إلا مـظـلـومٌ ... ويـتـيـمٌ وأبٌ مـفـجـوع
وبـقـايـا أطـفـالٍ هـامـوا ... يثقلهم مـرضٌ ودمـوع (29)

ثالثًا: حضور الدين

الثابت أن الأديان لها أثر جوهري في الصراع الحضاري، يخفت هذا الأثر حينًا، لكنه يبقى قائمًا في كل العصور، والثابت أيضًا أنه لم يكن دافع لعدوان الضِّرْب على البوسنة، وامتناع الآخر عن التدخل إلا لإسلام البوسنة.. يشير جويدة إلى ذلك.. فيقول:

لم يبقَ من أشلاء بوسنة/ غيرَ خوف أو سؤال
لِمَ لا نعيشُ بأرضنا/ لم لا تظلُّ منابرُ الإسلام تاجًا بيننا
جئنا إلى الدنيا/ رأينا الحب يسكن كلَّ شيءٍ حولنا
ما ذنبُنا؟/ ما ذنبنا؟/ ما ذنبنا؟

وقد حصر بعضُ شعراء المدونة باعث عدوانية الآخر على أمة الذات المبدعة في الإسلام، ذنبِ الأمة عند الآخر كما قال "قميحة":

وزعمت بأنِّي إرهابي ... وبأنِّي دمويٌّ مجرم
وبأني عاملُ تخريبٍ ... وبأنِّي رجعيٌّ مظلم
وكذبتَ فذنبي تعرفه ... هو أني عربيٌّ مسلم

أما الدين عند الآخر في حياته فهامشيٌّ لا بالمتن، ذلك ما يؤكده بعد معايشة، أحمد تيمور، إذ يقول:

أمريكا../ كنيسةٌ قبابها/ من ذهب معالَج بحامضٍ/ تلقاه إن أنت اختبرته
بفعل نقطتى عبَّاد شمس قلويٌّ/ كنيسة صليبها/ فرع هوائى
لرصد قمر مجوَّف من النحاس الفُستقى/ كنيسة/ من أتقن الصلاة/
فى محرابها الصلب الذى لا يعرف الصدا/ يصير قسَّها النبيّ" (30)